

آراء وافكار

حفلة تكريم امير الشعراء

« في دار المجمع العلمي العربي »

أقيمت في دار مجمعنا العلمي عصر يوم السبت الواقع في ١٠ آب سنة ١٩٢٥ حفلة تكريم كبرى باسم امير شعراء العصر (احمد شوقي بك) أقامها جمهور من ادباء الحاضرة على اختلاف الطبقات والطوائف وقد شهدها جمهور كبير من اعيان دمشق وعلمائها وفضلائها قدر بالف وخمسمائة وفيهم طائفة كبيرة من طلاب المدارس العالية وعامة الناس الذين أصبحوا في شوقٍ شديد الى رؤيته (شوقي) واستجلاء هلاله . بعد ان سمعوا الدر من لفظه . والسحر الخلال من اقواله .

افتتح الحفلة الاستاذ السيد محمد كرد علي رئيس المجمع بخطابٍ وجيز رحب فيه بالضيف الكريم وأشار الى مقاصد الحفلة والداعي اليها ثم قال : « ان اجتمع الدمشقيون في هذه الردهة التي اشتهرت بتعظيم النوايح والتنويه بالنبوغ فانما كان اجتماعهم اليوم لتكريم مصر . وناهيك بفضل مصر على كل مصر . واذا اغتبطوا بان قاموا بواجب عليهم فسرعان اغتباطهم انهم رأوا طلعة عزيز على مجتمعهم افضل عليه بأدبه اي افضال واظهر الشعر في غير مظهره الذي كان له في القرون الاخيرة . ولا عجب فان احمد شوقي في شعراء القرن الرابع عشر كسميه ابي الطيب احمد بن الحسين المتنبى في القرن الرابع مع مراعاة ما بين العصرين من الفوارق » ثم قارن بين الشاعرين من جهة انهما رزقا السعادة في تعمرهما لكنه خالف بينهما من جهة خلة (الوفاء) ازاء ممدوحيهما . فان « عميد الشعر في هذا العصر وفي لخدمته في حالتي الاقبال والادبار ولد له في هذا السبيل من ابواب المروءة كل عناء » .

ثم نهض الاستاذ السيد شفيق جبيري فالتقى قصيدة جمعت بين عابو بة الالفاظ وجمال المعاني وقد قال في مطلعها :

حنت الى بردى فخي رجالها الله مكن في العيون مثالها
تلك الاواصر لم تنزل معقولة من عهد عمرو من يحل عقالها ؟

الى ان قال مخاطباً المحنفل به :

غنّ الديار وقد نزلت بأها فمسي القوافي ان تذكر آها
للشعر آيات اذا غنى بها أهل الحمى فعلت بهم افعالها
ومنها :

القت اليك العبقريّة سرها وحنّت عليك وجرت اذبالها
لله شعرك في القلوب فانه بلغ القلوب فبها وأمالها
ملكّت براعتك البيان وقصرت عنها براع ما تصول حياها
فصقلت حاشية القريض ولم تكن متكلفاً تدبّجها وصقالها
شوقي امير الشعر غير مدافع غرر القريض خلت له وخلاها
واذا الجزيرة صدرت شعراءها كانوا عيالاً وهو بذ عيالها

وبعد انبرى الاستاذ السيد فارس الخوري فالتقى خطبة غاية في الحسن والفائدة استهلها بوصف الآثار التي يتركها السلف للخلف فمنها الصوامت وهي المعالم المادية ومنها النواطق وهي ما تركه العلماء والشعراء من المآثر والآثار وفضل الثانية على الاولى ثم ذكر علائق القطرين فقال : (في ما عدا الجنس واللغة وهما امن الروابط القومية قدأنتلف القطران بالنظام الاداري امدأ طويلاً وها ان الشريعة الاسلامية الفراء ما زالت منذ ثلاثة عشر فرناً مسيطرة على تسديد المعاملات وتنظيم الشرائع في مصر وسورية على نمط يكاد يكون واحداً ولا يجهل العارفون ان وحدة التشريع ننشي الاقوام على وحدة المباديء والعادات وتقرب المتباعدين فكيف بها بين قطرين شقيقين وقومين متحدين في عنصرهما واسانها) . ومن كلماته الجميلة في المحنفل به قوله :

(ربما كانت هذه المرة هي الأولى التي يزور بها شاعر العرب مدينة دمشق بيد ان قصائده الرائعة ما زالت منذ امد بعيد تنتخّ قلوب السوربين وتعد له فيها منازل الاكرام والاعجاب . كل بيت من شعره بني له في القلوب بيوتاً عامرة ينزل بها على الرحب والاعزاز . فلا جبال سيننا التي تعاصى بلوغها على موسى الكايم ولا البحر الفاصل الذي صد فرعون وجنوده عن اللحاق بابناء ابراهيم -- كانت قادرة على ايقاف ميل الشعر

٦ م

العذب الذي يرسله امير الشعر الموجة تلو الموجة فينب فوق الجبال ويجوز لجمع البحار
وينتهي الى القلوب المكتسبة فينعشها والى المهج الظامنة فيروها) .
وتلاه السيد تيسير ظبيان فتاب عن الاستاذ السيد خليل مردم في القاء قصيدته
التي جاءت جيدة السبك محكمة النسيج والحبك افتتحها بقوله :

برزت بزيتها اليك الشام واقتر بشراً ثغرها البسام
فتجاوب الاطيار بين رياضها منها عليك تحية وسلام
ووصف شعر المختفل به فقال :

واشتد اسر الشعر فيك وطالما كانت تساور جسمه الاسقام
تبني من الايات كل ممد ومن شأنه التشيد والاحكام
في كل بيت غادة تنويلها ووصالها الا عليك حرام
واشار الى مجد الشام القديم فقال :

قد كان للمجد الموطد ركنه من قاسيون ذروة وسنام
ثم واستلم دور الخلافة انها امسى لها بيد الردى استسلام
طف في زواياها وعظم شأنها من شأنها التعظيم والاكرام
مازادهى الخضراء صوح غصنها وعلا محيما الوسيم فنام
فكأنها لم يأتلق في افقها عمر الخليفة والامام هشام
اعزز على الخلفاء ذل بلادهم ولوانهم تحت التراب رمام

ولم يكد السيد تيسير يتم انشاد هذه القصيدة حتى تطالت الاعناق الى المختفل به
(احمد شوقي) واستماع قصيدته فقام السيد نجيب الريس وانشدها بالنيابة عنه وها هي
بنصها الشائق :

في نوح جلق وانشد رسم من بانوا مشت على الرسم احداث وازمان
هذا (١) الاديم كتاب لا كفاء (٢) له رث الصحائف باق منه عنوان
الدين والوحي والاخلاق طائفة منه وسائر دنيا وبهتاف

(١) الاشارة الى اديم الارض كلها لا اديم جلق وحدها . (٢) اي لا نظير له

ولا مثيل .

ما فيه ان قلبت يوماً جواهره
بنو أمية للانباء ما فتحوا
كانوا ملوكاً مسرير الشرق تحتهم
عالين كالشمس في اطراف دولتها
يا بريح قباي! أمهما اثاب ارسمهم
بالامس قمت على ازهراء اندبهم
في الارض منهم سموات والوابة
معادن العز قد مال الرغام^(٢) بهم
لولا دمشق لما كانت طليطاة
مررت بالمسجد الحزون اسألة
تغير المسجد الحزون واختلفت^(٤)
فلا الاذان اذان في منارته

الا قراخ من راد^(١) واذهان
وللاحاديث ما سادوا وما دانوا
فهل سألت سرير الغرب ما كانوا؟
في كل ناحية ملك وسلطان
سرى به الهم او عادته اشجان
واليوم دوعي على الفيحاء ممتاز
ونيرات وانواء وعقبات
لوهان في ترابه الا بريز ما هانوا
ولا زهت ببني العباس بغداد^(٣)
هل في المصلى او المحراب مروان
على المنابر احرار وعبدان
اذا تعالي ولا الاذان آذان

آمنت بالله واستثنيت جنته
قال الرفاق وقد هبت خمائلها
جري وصنق يلقانا بها يردى
دخلتها وحواشيها زمردة
والحور في (دمر) ا حول هايتها
و(ربوة) الواد في جلاب راقصة
والطير يصدح من خلف العيون بها
واقبلت باليهات الارض مختلفاً
وقد صننا يردى للريح فابتدت

دمشق روح وجنات وريحان
الارض دارها الفيحاء بستان
كبا تلة آك دون الخلد رضوان
والشمس فوق لجين الماء عقيان
حور كواشف عن ساق وولدان
الساق كاسية والنخر عريان
وللعيون كما للطير الحان
افوافه^(٥) فهو اصباغ والوان
لدى ستور حواشيهن افنان

(١) عنصر الراد يوم العجيب . (٢) الرغام التراب . (٣) بغداد لغة في بغداد .

(٤) اي ثنابت . (٥) افوافه تزاينه .

ثم اثنت لم يزل عنها البلال ولا جفت من الماء اذ يال واردة

خلقت لبنان جنات النعيم وما نبئت ان طريق الخلد ابناء
حتى انحدرت الى فيحاء وارفة فيها الندى وبها طي وشيبان
نزلت فيها بفتيان ججاجحة آباؤهم في شباب الدهر غسان
بعض الأسرة باقى فيهم صيد^(١) من عبد شمس وان لم تبق تيجان

يا فنية الشام شكراً لا اتقضاء له لو ان احسانكم يجزيه شكران
ما فوق راحاتكم يوم السباح بد ولا كاً وظانكم في البشر اوطان
خميلة الله وشتها يد لكم فهل لها قيم منكم ووجدان
شيد والها الملك وابنوار كن دولتها فالملك غرس وتجديد وبنيات
لو يرجع الدهر مفقوداً له خطر لآب بالواحد المبكى ثكلان
الملك ان تعملوا ما اسطعتم عملاً وان بين على الاعمال انقاف
الملك ان تخرج الاموال ناشطة لمطلب فيه اصلاح وعمار
الملك تحت لسان حوله ادب وتحت عقل على جنبه عرفان
الملك ان تلاقوا في هوى وطن تفرقت فيه اجناس واديات

نصيحة ملؤها الاخلاص صادقة والنصح خالصه دين وايمان
الشعر ما لم يكن ذكرى وعاطفة او حكمة فهو نقطيم واوزان
ونحن في الشرق والفصحى^(٢) بنورحم ونحن في الجرح والآلام اخوان

(١) عزة ونجر . (٢) اي واللغة العربية الفصحى .